مجلة الحكمة للدراسات الاسلامية
Eissn :2773-4471 Issn : 2353-043X
المجلد 10 / العدد: 01 (2023)، ص: 64-86

العلاج النفسي للقرآن الكريم
Psychological treatment of the Holy Quran

رقاز رقية
كلية العلوم الإسلامية – خروبة جامعة الجزائر 01 يوسف بن خدة
r.regaz@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2022/09/17 تاريخ القبول: 2022/10/12 تاريخ النشر: 2023/01/01

الملخص

علم النفس الصحي هو أحد ميادين علم النفس، يدرس العوامل المساهمة في المحافظة على الصحة ومعالجة المصاب، وجاءت هذه الورقة البحثية للإجابة على الإشكال الآتي: كيف يمكننا الاستفادة من القرآن الكريم في الاستشفاء ضمن ممارسات الطب النفسي مع المسلمين؟ مبينة موقف الشرع من العلاج النفسي عموما والعلاج النفسي بالقرآن خصوصا، مع توضيح الوسيلة المناسبة لتحقيق هذا العلاج. وهذا من خلال ثلاثة عناصر أساسية:

- علم النفس الصحي.
- حجية العلاج النفسي بالقرآن الكريم.
- معالم علم النفس في القرآن الكريم.

لأخلص في النهاية إلى حقيقة تقييد الإسلام للعلاج النفسي وتحديد بؤرة الإصابة بالأمراض النفسية في المجتمع المسلم، وحقيقة الاستعانة بالقرآن في العلاج.

الكلمات المفتاحية: علم النفس الصحة، القرآن الكريم، الاضطرابات النفسية، الاستشفاء بالقرآن.

Summary

Health psychology is one of the fields of psychology that studies the factors contributing to maintaining health and treating the patient. This

research paper came to answer the following problem: How can we benefit from the Holy Qur'an in hospitalization within psychiatric practices with Muslims? Indicating the position of Sharia on psychotherapy in general and psychotherapy in the Qur'an in particular, while clarifying the appropriate means to achieve this treatment. This is based on three basic elements:
-Health psychology.
-The authenticity of psychotherapy in the Holy Qur'an.
-Features of Psychology in the Holy Quran.
To conclude in the end the fact that Islam restricts psychotherapy and determines the focus of mental illness in the Muslim community, and the fact that the Qur'an is used in treatment.
Keywords: health psychology, the Noble Qur'an, psychological disorders, hospitalization by the Qur'an.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على من أيّده الله بالوحي مبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين اتخذوا القرآن منهجا ودليلا، وبعد

إن الحروب والأزمات الاقتصادية والتفكك الأسري والانحلال الأخلاقي وغيرها من تحديات العصر، صارت خطرا يهدد مصير الأمّة الإسلامية، ما أدّى إلى تفشي الأمراض النفسية بين المسلمين؛ كالقلق والاكتئاب والخوف، وإن حاول كثيرون إخفاءها .

والإنسان إذا اتّصل بالله - عزّ وجلّ - حقّق ذاته، وحقّق فطرته، أمّا إذا انقطع عنه، فإنه يُصاب بما يسميه علماء النفس بالاضطرابات النفسية. ومن الوسائل البارزة والخالدة التي من شأنها تقوية صلة العبد بربه، القرآن الكريم وهو محور دراستنا. فالغرب أبدعوا في مجال علم النفس الصحي، وقد استوردنا أفكارهم لنُخلِّص المسلمين من ضغوطاتهم النفسية، إلا أن عقيدتنا وتقديسنا للقرآن الكريم، واستحالة وثوقنا بكل ما جادت به الثقافة الغربية، دفعنا لتقديم هذا البحث انطلاقا من الإشكالية العامة:

إشكالية البحث

- كيف يمكننا الاستفادة من القرآن الكريم في الاستشفاء ضمن ممارسات الطب النفسي مع المسلمين؟

ولتتسنى لنا الإجابة على الإشكالية نمرُّ أولا بالإجابة عن بعض الفرضيات:

- ما موقف الشرع من العلاج النفسي؟
- ما موقف العلماء المسلمين من فكرة العلاج النفسي بالقرآن؟
- كيف تكون الحصة العلاجية بالقرآن: هل يكون ذلك بأن نأمر المريض بقراءة القرآن تلاوة فردية أو تلاوة جماعية؟ أو نأمر المريض بالاستماع إلى القرآن لكي يؤثر في مرضه فيشفى؟ أو يقرأ المعالج القرآن على المريض ليخرج المرض النفسي من نفسه أو من جسده؟ أو يكون بمزيج من بعض ذلك وغيره؟
- هل يمكن الاكتفاء بالقرآن الكريم وحده للتخلص من الاضطرابات النفسية؟

هذه التساؤلات استوقفتني للتفكير في موضوع هذه الدراسة وتقديمه في ثلاثة عناصر رئيسية:

1- علم النفس الصحي.
2- حجية العلاج النفسي بالقرآن الكريم
3- معالم علم النفس في القرآن الكريم

أهداف البحث

أسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى رفع الحرج عن طلبة العلوم الشرعية في الخوض في ميدان علم النفس، وإثبات أحقية الإسلام في التأثير في كل مجالات الحياة. وهي فرصة للرد على المشككين في صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان، والتأكيد على أنه شفاء للناس مع بيان الطريقة الشرعية لذلك، وغلق أبواب المشعوذين والدجالين وأصحاب النظريات الغربية لاستغلال المسلمين.

وقد التزمت في بحثي المنهج الوصفي التحليلي في تناول معالم علم النفس في القرآن الكريم، ودونت المراجع في نهاية الفقرة أما في آخر المقال فقد اعتمدت أسلوب (APA)في تدوين المراجع.

وأخلص في الخاتمة إلى النتائج المتوصل إليها بعد طرح القضية وأدلّتها الشرعية، مع الحرص على التوصيات التي تبسط ما تم اختصاره في دراستي والتطرق إلى ما حال حجم الدراسة دون التعرض إليه.

و في الأخير أتمنى أن يكون طرحي قد نال اهتمامكم، آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1. علم النفس الصحي

علم النفس الصحي هو أحد فروع علم النفس. لم يُضبط له تعريف رسمي، فجاءت بعض المحاولات لحصر مفهومه. عدّه متارازو (Matarrazzo. 1984) حقلا يشمل مساهمات متنوعة من علم النفس، فيما يتعلق بالتعليم والعلوم والمهنة، وتطبيقها على الصحة والمرض. يهتم بالتأثير المتبادل بين الحالة الصحية والحالة النفسية. ومثال ذلك مرض السرطان؛ وهو حالة جسمية قد تتعلق الإصابة به بحالة الاكتئاب التي يعيشها الإنسان وهي حالة نفسية .

ويتناول هذا العلم الحالات المرضية بالدراسة لتشخيص الحالة وتفسيرها والتوصل إلى العلاج والوقاية من الإصابة مجددا، فهو بذلك يبحث في السلوك الجيد المفيد للصحة أي دراسة مدى تأثير العادات الصحية الجيدة على تلافي الأمراض. وبالمقابل يدرس السلوك الضار بالصحة كالإدمان المؤدي إلى تلف الكبد .

واقترحت جمعية علم النفس الأمريكية أن تصف علم النفس الصحة بأنه مجال متعدد التخصصات، يطبق المعرفة التي تم الحصول عليها من علم النفس الصحة والمرض في البرامج الصحية. (سامر رضوان وكونراد ريشكة، 2001.(

من الموضوعات التي يهتم علم النفس الصحي بدراستها موضوع الضغوط وتأثيرها على الأفراد من النواحي الفيزيولوجية والسلوكية، وكيف يختلف تأثيرها من فرد

إلى آخر، تبعا لتقييم كل منهم لشدة الأحداث الضاغطة التي يمر بها ومدى قدرته على التحكم بها. كما أنه يتعدى ذلك إلى السعي إلى إيجاد الحل للتكيف مع هذه الضغوط ومدى ارتباطها بسِمات الشخصية؛ كالقدرة على التحمل والتفاؤل والتدين(Johnson, Weinman, & Chater, 2011) .

علم النفس الصحي هو أحد ميادين علم النفس، المهتم بفهم العوامل المساهمة في المحافظة على الصحة أو التي تؤدي إلى الإصابة بأمراض جسمية، كما يهتم بفهم الكيفية التي يستجيب بها المصاب، ويكرِّس جهوده لعدم العودة إليها في حال التماثل للشفاء. وله علاقة بالعلوم النفسية والطبية كعلم النفس الاجتماع، علم النفس النمو، علم النفس الفيزيولوجي، علم الأوبئة، علم المناعة والطب، علم النفس العصبي، علم النفس العيادي.

2. حجية العلاج النفسي بالقرآن الكريم

إن الإنسان مخلوق من جسد وروح، وكلاهما معرّض للإصابة بالمرض. وقد كثرت الأمراض العضوية والنفسية في عصرنا هذا، وتعددت أشكالها وظهرت أمراض لم نشهد مثلها سابقا، واجتهد أهل الاختصاص في البحث عن العلاج. فأما الجسد الظاهر فقد أفلحوا إلى حد بعيد في تعديل السلوكيات الصادرة عنه وعلاجها، أما الروح فقد استعصى عليهم تحديد أنجع طريقة لتعديل اضطراباتها.

2.1. الفكر النفسي الإسلامي

إن النفس مجبولة على البحث عن راحتها وسعادتها وتحقيق توافقها. ولم يخلُ دين عن الحديث عنها والاهتمام بها، ومحاولة تهذيبها والارتقاء بها نحو الأفضل، وتحقيق الطمأنينة لها. وقد جاء الإسلام بمنهج سليم يُلبي احتياجات النفس البشرية، ليمتاز بذلك «الفكر النفسي الإسلامي عن الفكر النفسي الغربي باهتمامه بالعوامل الروحية ودورها في نشوء الاضطرابات النفسية» (أسماء بوعود، 2014). ص: 208). وتشير «دراسة تحليلية للمضطربين نفسيا، أُجريت في

الولايات المتحدة إلى بعض العوامل التي أسهمت في اضطرابهم، وكلها ناجمة عن افتقارهم إلى معرفة الله، ومعرفة أنفسهم وافتقارهم إلى علاقة صحيحة مع الخالق». (قولي أسامة إسماعيل، (2007). ص: 22). والعناية الشديدة بالأمراض النفسية دليل أنها أعظم من الأمراض العضوية، وأحيانا تكون سببا لها، وإن لم تُعالَج قد تُفضي إلى الانتحار، وهذا راجع إلى غفلة الناس عن أسباب التحصّن عن الوقوع فيها.

ومن أوجه الإعجاز القرآني في النفس البشرية ما يلي: (الصلاحات سامي محمد وهلالات دلال محمد، 2002(

- تعرُّض القرآن الكريم إلى أمراض وعلل النفس ومواطن الضعف والقوة فيها.
- تعرض القرآن الكريم إلى ما يتعلق بالوساوس والخواطر والأحاسيس والانفعالات سواء الفرح والحزن، أو الاطمئنان والقلق.
- تعرض القرآن الكريم إلى ما يهدد النفس من علل كالرياء والغيرة، وكيفية معالجتها وفقا للتشريع الإسلامي.

أوضح لنا القرآن الكريم صفات النفس الإنسانية، وما تكون عليه في مواضع شتّى، كوصفها مثلا بالضعف، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء: 28]

وعلى المسلم تخيُّر الطبيب النفسي المسلم، فيختار من كان موثوقا به، وأهلا لممارسة عمله، ومأمونا بحيث لا يَستخدم الطرق المحرّمة شرعا كالتنويم المغناطيسي الممزوج بكثرة الدجل أو الاستفادة من نظريات فرويد في المعالجة بإقناع المريض أن سبب عقدته النفسية واضطرابه العصبي يرجع إلى تقيده بالدين والأخلاق فيفسر جميع التصرفات بـ «عقدة أوديب وعقدة إلكترا... وهي شهوة الطفل أن يجامع أمه، وشهوة البنت في أن تجامع أباها... وهي هلوسة سمعها من مرضاه الهستيريين، فجعل منها تهمة عامة ألصقها بالكل» (محمود مصطفى، (1998). ص: 16 .(

ومنه إن خلت الحصة العلاجية من هذه المعايب، جاز الرجوع إلى الطبيب النفسي استشارة وعلاجا؛ لأن ذلك من باب الأخذ بالأسباب المباحة لعلاج النفس المريضة، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلاَ تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ)). [أخرجه أبو داود والبيهقي وحسنه الأرناؤوط وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة.[

وعلى الطبيب النفسي الاستعانة بالقرآن الكريم في العلاج النفسي، خاصة مع أمراض الروح المصنفة في قائمة الوساوس الشيطانية، فإن هذه الحالات النفسية قد يعود سببها إلى مقارفة المريض للذنوب وارتكابه للمعاصي والواجب على المريض الإنابة بالتوبة النصوح وقراءة القرآن، وهذا هو علاجه الأمثل.

ولقد أقرت الشريعة السمحة الاستشفاء والتداوي بتلاوة القرآن الكريم، دون ترك التداوي بالأدوية الطبيعية المادية، فليس ذلك من الرشد في الدين، ولا من الفقه لسنن الله تعالى في الكون. بل الأجدر أن يُجمع بين بذل الأسباب الحسية والمادية مع الاعتماد على ما جاء به التوجيه الشرعي وتعلق القلب بالله وحده. (محمد السقا عيد، 2014) فالمسلم ملزم بالتسليم بما ثبت شرعا من الشفاء بالقرآن الذي سماه ربنا جل في علاه بالشفاء فقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء﴾ [سورة فصلت: 44] وقال في موضع آخر: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة الإسراء: 82] «فهو خير بديل عن العقاقير الطبية التي لا تنفع مع الأمراض النفسية» (محمد السقا عيد، 2014) والمؤمن مسلِّم بأن الله تعالى خالق الصحة والسقم، وخالق أسبابهما وأسباب العافية.

ولقد بيَّن القرآن الكريم معنى الشفاء في الآيتين السابقتين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: 57] والصدر به أمور معنوية تتعلق بالقلب والروح لا بالجسد والأعضاء، نحو الشك والحيرة والهم والحزن. اعترضت جماعة على هذا القول مستدلين بكون القرآن الكريم كتاب هداية ودستور تشريع وليس وصفة طبية، ونحن نُقر بقولهم هذا، لكن يعتريه بعض النقص نكمله مستعينين بقول

الشيخ عبد الله بن الصديق حيث قال: «إن الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه لحِكم منها إخراج الناس من الظلمات إلى النور... ومنها التداوي به، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة فصلت: 44]» (محمد السقا عيد، 2009) وذكر الشيخ مجموعة من الحِكم وهي على كثرتها متداخلة فيما بينها ومتوافقة مع بعضها، لا تنافر بينها ويمكن الأخذ بها جميعا.

ثم إن القرآن الكريم كلام الله تعالى، والتداوي به يتضمن الالتجاء إليه في كشف الضر عن المصاب. ويبرر الشيخ الصديق أسباب الاستشفاء بالقرآن الكريم بقوله: «... وفي لفت الناس إلى هذا الجانب حِكم أهمها أن يكون بين العبد وربه صلة دائمة تقوي يقينه وتملأ قلبه طمأنينة، فلا يعتريه قنوط ولا تضجره المصائب والأمراض على كثرتها وشدتها؛ لاعتماده في دفعها على من وسعت رحمته وعمت نعمته سبحانه وتعالى» (محمد السقا عيد، 2009.(

أخذ العلاج بالقرآن شرعيته من الأدلة النقلية الثابتة في القرآن والسنة، ومن الأدلة التجريبية العملية والخبرات التاريخية. إلا أن بعضهم يرون أنه يُغني عن العلاج النفسي، ولهم عبارتهم المشهورة: "الأمة الإسلامية ليست بحاجة إلى أطباء نفسيين لأن القرآن يكفيها". لن ننكر حقيقة تميُّز القلوب المتعلقة بالله المطمئنة به، كما لا يمكننا أيضا أن ننكر حقيقة أن المؤمن مصاب ويبتلى في حياته. فقوة الإيمان ليست رادعا دائما للأمراض النفسية، بل قد يكون الحزن والحسد وغيرها من الاضطرابات امتحانات لقوة الإيمان، وخير دليل نسوقه في هذا السياق هو الاكتئاب الذي عاشه أبو حامد الغزالي الذي وصفه في كتابه المنقذ من الضلال .

وإذا لاحظنا أثر الاستشفاء بالقرآن الكريم على النفوس وما يخلفه من أثر إيجابي على الفكر والمشاعر ثم السلوك، نستنتج بأنه يعمل بالطريقة نفسها التي في الطب النفسي؛ يعني أن أثر التداوي بآيات الله ينتج بعد أن يفهم المصاب ما يُتلى عليه من القرآن، فينتج عن الفهم إما تغير في المشاعر ثم السلوك أو العكس، فيشفى بإذن الله. وعليه فإن الاستشفاء بالقرآن الكريم هو المثل الأعلى للعلاج المعرفي

السلوكي الذي تهتم به أكثر المدارس النفسية في العقود الأخيرة، ويستمر أثره إلى ما بعد الشفاء كما يفعل الطب النفسي الصحي الذي يهتم بمرضاه بعد الشفاء خشية الانتكاسة.

2.2. أهمية العلاج النفسي في الإسلام

إن الإسلام كما أمر بالتداوي بالأدوية المادية، والأخذ بالأسباب العلمية، فإنه رغّب بمشاركتها بالأدوية الروحية، مِن رقى بكلام الله تعالى والاستشارة النفسية البعيدة عن المناهج المعرفية. ويُحمد الجمع بين العلاجين النفسيين؛ لأن كليهما ينطلق من فكرة واحدة، هي أن المريض يعاني بسبب أفكار خاطئة غير منطقية، ويعدها مسلّمات دون وعي غالبا. ويسعى الطبيب في علم النفس الصحي إلى تبصير المريض بها؛ حيث إنهم يُقرّون أن النفس «تأخذ شكلها النهائي في السنوات الخمس الأولى من الطفولة... ولا يبقى للطبيب النفسي دور سوى إخراج المكبوت فيها إلى الوعي... أو فتح نوافذ للتنفيس والتعبير وتخفيف الغليان الداخلي» (مصطفى محمود، (1998). ص: 21) لتصحيح تلك المغلوطات خلال جلسات العلاج، ويستحسن أن تدعم بالاستشفاء القرآني؛ لأن طرق العلاج النفسي وحدها أشبه بعلاج السرطان بالمراهم أو المسكنات لأنها لا تحاول أن تغير من النفس شيئا أما بوجود القرآن فهناك إمكانية تبديل النفس وتغييرها جوهريا ويقول بإمكانية إخراجها من ظلمة البهيمية إلى أنوار الحضرة الإلهية وذلك بالرياضة والمجاهدة.

وربما الغاية الأسمى للاستعانة بالقرآن الكريم في العلاج النفسي الصحي، هي تحويل المعرفة بهديه ومعانيه، إلى خُلق ثابت ومستقر، ما يؤدي إلى ترشيد السلوكيات الخاطئة اقتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم. ومنه نقول إن القرآن الكريم قدَّم إضافة جديدة لمحاولات تشخيص خلل اضطراب النفس والشخصية، وهو أداة فعالة في تبسيط مفاهيم الصحة والمرض النفسيين، والوعي جزء من الوقاية والعلاج، وهذا ما ذكره عبد الجليل عبد الرحيم ملخصا في النقاط الآتية :

- محاربة الاغتراب عن الدين واسترجاع الصورة المشرفة للإسلام.

- العمل على إعادة بناء الذات المتكاملة الجامعة بين العلم والإيمان والموازنة بين مطالب الروح والجسد.
- إعادة الصيغة الدينية للعلوم والمعارف الدينية، وإثراؤها بكل ما جاء به الكتاب والسنة.
- الكشف عن كثير من أوجه إعجاز القرآن الكريم خاصة الجانب العلمي.
- ربط حاضر الأمة بماضيها في إعادة الأصالة في البحث العلمي. (محمد عثمان نجاتي، 2001(

3. معالم علم النفس في القران الكريم

إن القرآن الكريم منذ لحظة نزوله وهو وحي موحٍ، ومنطلق لشتى العلوم والفنون التي تأسست من خلالها الحضارة الإسلامية، وسادت العالم ما دامت تمسّكت به جوهرا وهديا. ومنه فهو نقطة الانطلاق السديدة لمن أراد استعادة السبق والمبادرة لإصلاح هذه الأمة، فهو فيض لا ينضب، ولا يُرد سائله خائبا. فصار لا بد أن تنفر من أبناء الإسلام جماعة تبحث فيه عن العلاج الروحي لغلق أبواب الشعوذة والنظريات المحرمة.

3.1. الأمراض النفسية: أسبابها وعلاجها

إن الأمراض النفسية التي يعانيها معظم المرضى النفسيين ترجع إلى أحد الأسباب الثلاثة:

- الحزن على الماضي، والقرآن الكريم شديد الحرص على اطمئنان المسلمين نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [سورة النمل: 70].
- الخوف من المستقبل وذلك لن يؤمِّن لهم عيشة كريمة يقول تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة: 51].

- التضجر من الحاضر وهو لن يغير حالا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة القصص: 70].

علمنا القرآن الكريم الصبر وتسليم أمورنا كلها لله، والرضى بما كتبه لنا، ففي ذلك تفريج الهم والحزن.

»لاحظ الطب الحديث أن الانفعالات النفسية والنشاطات الروحية، تؤثر على الحالة العضوية سلبا وإيجابا. وتأثيرها السلبي يؤدي إلى أمراض خطيرة في الأغلب، وللحد من ذلك شاعت نظرية العلاج بالإقناع، لشفاء الكثير من العلل الوظيفية والعصبية عن طريق رفع معنويات المصاب والإيحاء إليه بأن مرضه سائر إلى الزوال» (محمد السقا عيد، 2014). والقرآن الكريم هو الأقدر على تطبيق هذه النظرية لتوفره على القَصص الذي يمُدنا بالعبر النافعة فتجدد في قلوب المصابين الأمل، وتقوي إيمانهم بعد أن غفلوا عنه، ويشغلهم عن الإحباط لأنه يقر أن الخيرة فيما اختاره الله تعالى دوما. فتصبح نظرتهم لأمراضهم مختلفة، سيرونها بعين الابتلاء ليُكفِّروا بها عن ذنوبهم. نستنتج بهذا أن الإسلام لا يمنع الأخذ باكتشافات الغرب مطلقا، لكنه ينقيها ويأخذ الصحيح منها ويدعمه.

3.2. المنهج العلاجي للقرآن الكريم

- العلاج النفسي المعرفي: يقضي على بؤرة المرض وهي كما أسلفنا الذكر؛ الأفكار الخاطئة التي تسيطر على الأذهان، فيذكِّر المقدِم على الانتحار أنما خُلق لغاية عظيمة هي عبادة الله لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: 56].

- العلاج بالمعنى: ويكون بالبحث عن الهدف والغاية التي وُجد من أجلها الإنسان، حرصا على مقاومة المرض النفسي. إن الإيمان أحد أهم المعاني التي تمنح لحياة الإنسان معنى، وهذه وظيفة القرآن من خلال تقديمه لكل الإجابات الكونية الفلسفية الإنسانية الكبرى، التي توصلنا أحيانا حد الجنون. ودوره إعطاء قيمة لكل تجارب البشر الإيجابية والسلبية، مما يكون له الأثر البالغ في التماسك النفسي تحت مطارق الضغوط، فوجود الله تعالى في الضمير يشيع نوعا من

الاطمئنان الوجودي والنفسي، مما يمنح مقاومة أكبر ضد عوارض المحن، فيه استعادة لمعنى السند في الحياة والمدد اللانهائي، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[سورة الحج: 35.]

• العلاج بالعقار المموّه: يسعى المعالج المسلم لإقناع مريضه بتأثير القرآن وفعاليته في الشفاء، والمصاب المسلم مستعد لاعتناق هذا الاعتقاد من تلقاء نفسه، فاعتقاده جاهز يسعى المعالج إلى تقويته، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [سورة فصلت: 44] وعند غير المسلمين يستبدل القرآن بنظرية العقار المموه فيقنعون المريض أنه يحمل نفعا.

• التأثير الصوتي للقرآن الكريم: يؤمن الغرب بدور الموسيقى في العلاج النفسي. أما المسلمون فاهتدوا إلى دور الفاصلة القرآنية، وما تحمله من توازن صوتي متبوع بدلالات معنوية لها تأثير قوي على نفس المستمع. فضلا عن الراحة النفسية المنبثقة من عمق التلاوات الشجية. وقد اكتشف أن لكلمات القرآن المتلوة على الماء أثر كبير على بِلوراته، وجسم الإنسان يتشكل من 80% من الماء، وستتأثر بلوراته عند سماع القرآن.

ومن أشكال العلاج بالقرآن

- الاستماع إلى التلاوة.
- التلاوة الفردية أو الجماعية بخشوع وتزيين الصوت بالتجويد، والمدارسة وتحريك الوعي.
- الصلاة .
- التلاوة على الماء ثم شربه .

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقنا إلى هذا العمل، ومهما بذلنا من جهد نجد أنفسنا مقصرين اتجاه كتاب الله تعالى. وفي الختام يطيب لي أن أعرض عليكم نتائج البحث في النقاط الآتية:

- الإسلام لم يحرم علم النفس مطلقا بل قيده.

رقازرقية

- يكاد العلماء يجمعون على أن العلاج بالقرآن الكريم خاص بالأمراض النفسية فقط.

- علم النفس الصحي يتيح الفرصة لمختلف المجالات لتقدم يد العون للمرضى.

- الأمراض النفسية التي غزت العالم الإسلامي سببها الأول البُعد عن الله تعالى.

- الاستعانة بالقرآن الكريم في العلاج النفسي يمنح العلم شرعية دينية فيطمئن المريض المسلم للعلاج، ويضيِّق الخناق على المشعوذين والسحرة وأصحاب النظريات الغربية المحرمة.

- المسلمون بحاجة لفرص تدعوهم للتمسك أكثر بقرآنهم.

- علم النفس الصحي واستفادته من القرآن الكريم دليل يؤكد للمنكرين بأن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، ويمكن الاستفادة منه في كل العلوم.

التوصيات:

ولضيق الحيز الذي أتيح لنا لم نستطع الإلمام بكل جوانب الموضوع لذلك أتقدم بالنصيحة للباحثين ملخصة في النقاط التالية:

- المسلمون بحاجة إلى طب إسلامي قائم على مراكز علاجية تحت إشراف أطباء مسلمين ثقات عالمين بالعلم المادي ولديهم علمٌ شرعيٌّ، يقومون بالعلاج المشترك: المادي بالأدوية، والروحي بالرقية. ويمكن بهذه الطريقة تحقيق نمط مشترك من العلاج ويجب أن تخضع هذه المراكز لإشراف الدولة، أو تلحق بالمستشفيات، وتخضع للبحث العلمي المتعارف عليه؛ حتى يمكن علماء المسلمين أن يحاجوا وفق المعايير والقواعد المتعارف عليها، ومن واجب طلبة العلم المسلمين أن ينفر منهم فريق لهذه المهمة.

- انتباه الأطباء النفسانيين والمختصين بعلم النفس إلى العناية والبحث في حقل ما يدل عليه القرآن، في مجالات الفهم والتطوير والاستثمار لما في الإنسان

والكون والحياة من إمكانات، فلا نستمر غافلين عن القدرة الهائلة على التعديل المعرفي والسلوكي في القرآن الكريم.

- تقديم نماذج عن معالجة القرآن الكريم لبعض الاضطرابات النفسية لتكون بمثابة المبحث التطبيقي لدراستي.
- تقديم دراسات مشتركة بين نظريات علم النفس الصحي وتوجيهات القرآن الكريم للمسلمين.
- لاحظنا اختلاف العلماء في إمكانية علاج القرآن الكريم للأمراض الجسدية، فيمكن تكريس بعض الجهد في البحث في هذه القضية.

وفي الختام أقول اللهم افتح قلوبنا وعقولنا لتدبر أسرار كتابك العظيم، واجعلنا من العاملين بأحكامه، واجعله نورا لنا يوم القيامة، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبيك المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

المراجع

-بوعود أسماء (19 ديسمبر 2014). العلاج النفسي للاضطرابات النفسية من منظور إسلامي: الاكتئاب نموذجا. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. العدد: 19. ص: 208

-سامر رضوان وكونراد ريشكة، (2001). السلوك الصحي والاتجاهات نحو الصحة، دراسة ميدانية مقارنة بين الطلاب السوريين والألمان، شؤون اجتماعية، 25، 55-72.

-الصلاحات سامي محمد وهلالات دلال محمد، (2002). فصول في الفكر الإسلامي. الكويت: مكتبة الفلاح، (ط1). ص: 158 – 160 – 161.

-قولي أسامة إسماعيل، (2007). العلاج النفسي بين الطب والإيمان. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، (ط1). ص: 22 .

رقازرقية

-محمد السقا عيد، (2009/05/12). الرقية الشرعية شفاء للأمراض النفسية والعضوية. شبكة الألوكة، مقالات في الرقية الشرعية .

-محمد السقا عيد، (2014/11/3). هل هناك تعارض بين الرقية الرعية والطب الحديث؟ شبكة الألوكة، مقالات في الرقية الشرعية .

-محمد عثمان نجاتي، (2001). مدخل إلى علم النفس الإسلامي. مصر: دار الشروق، (ط1). ص: 28 - 29

-مصطفى محمود، (1998). علم نفس قرآني جديد. مصر، دار أخبار اليوم. ص: 16.

- Johnson, Weinman, chater. (2011). Healthy contribution. Health Psychology, 24 (12) 890-902